

مقارنات تطبيقية لقصة خلق آدم في سورة البقرة ، والأعراف ، وطه ودور السياق فيها

الدكتور داود إسماعيلي

أستاذ مساعد بقسم علوم القرآن والحديث - جامعة أصفهان - إيران

d.esmaely@theo.ui.ac.ir

طالبة الماجستير أكرم مختاري

فرع تفسير القرآن - جامعة أصفهان - إيران

mokhtari1659@yahoo.com

Comparative Conceptology of the Story of Adam's Creation in Surahs Al-Baqarah, Al-A'raf and Ṭā ḥā: The Function of Context in Focus

Davoud esmaeli

Assistant professor of Quranic and Hadith Sciences, University of Isfahan ,
Iran

Akram Mokhtari

Interpretation branch of the Qur'an , Isfahan University - Iran

Abstract:

Applying the revelatory chapters and answering the doubts raised on them are important issues in interpreting the Quranic chapters. The reason for repeating the stories of the Holy Quran can be analyzed by reflecting on the role of register. The present study, by comparatively examining the three chapters of the Qur'an on the function of register and its types, deals with the subtleties in the repetitive parts of the story of Adam's creation in the Qur'an, although this story is mentioned in seven chapters of the Qur'an. However, considering the pivotal role of Adam in the Surahs Al-Baqarah, Tā hā, and Al-A'raf, the continuous and discontinuous evidence in them, only these surahs were investigated in this research. The findings of the research indicate that although at first glance the appearance of the chapters is similar to each other, in these three chapters, different registers have been formed. The choice of words and the order of the phrases are in line with the register of each surah and are quite purposeful so that a significant repetition is displayed in them.

Keywords: the story of Creation, register, Adam, Surah Al-Baqarah, Surah Al-A'raf, Surat Tā hā.

الملخص :

إن من القضايا الأساسية في تفسير آيات القرآن الكريم، هي مقارنة آيات الوحي والرد علي الشكوك التي أثّرت بشأنها. فقد نستطيع أن نحلل السبب في تكرار قصص القرآن الكريم من خلال التركيز علي دور السياق. وتتناول هذه الدراسة دور السياق وأنواعه، والدقة الخفية في الأجزاء المتكررة من قصة خلق آدم في القرآن الكريم. لذلك، علي الرغم من أن هذه القصة مذكورة في سبع سور من القرآن، ولكن بالنظر إلي الدور الرئيس لآدم في سور البقرة، والأعراف، وطه، والأدلة المترابطة والمنفصلة فيما بينها، اكتفينا بدراسة هذه السور - لا أكثر.

وتشير نتائج الدراسة إلي أنه علي الرغم من تشابه مظهر الآيات في البداية، فإن في هذه السور الثلاث يتم تكوين سياقات مختلفة عن بعضها بعضاً. ويتناغم اختيار الكلمات وترتيب العبارات مع سياق كل سورة وذلك بشكل هادف تماماً؛ بحيث يتم استخدام التكرار بلاغي في هذه السور الثلاث.

الكلمات المفتاحية : قصة الخلق - السياق - النبي آدم - سورة البقرة - سورة الأعراف - سورة طه .

المقدمة

وفقاً لما يعتقده غالبية العلماء المهتمين بشأن القرآن الكريم، السياق هو أحد المكونات المهمة للنص، وفهمه دور رئيس في استيعاب ما يود المتحدث قوله ونقله. وبعبارة أخرى، اعتبر المفسرون مبدأ تناظر السياق وتأثيره علي معني الكلمات والعبارات كإحدى المبادئ العقلانية للحوار، والتي استخدمها القرآن الكريم في التعبير عن آيات الوحي أيضاً. لذلك، فإن لفهم السياق مكانة لا تُنكر في معرفة تفسير آيات القرآن، بحيث تسبب عدم الاهتمام بالسياق في شكوك مختلفة أحياناً؛ كمن رأي وجود التضارب في ظاهر بعض الآيات، ومن قال - في بعض الحالات الأخرى - بتكرار محتوي الآيات. فعلي سبيل المثال، تتوزع أحياناً بعض قصص القرآن في عدة سور بسبب وجود السمات الخاصة فيه. ففي البداية يبدو هذا التوزيع متكرراً، ولكن بعد تأمل أكثر، يظهر لنا أن الاختلاف في أسلوب التعبير، وكذلك الاختلاف في التعبيرات ذاتها يوهم تبايناً في محور الآيات المتعلقة بالموضوع. إضافة إلي أن الحكمة في ترتيب الآيات وصياغتها تجعل هذه الاختلافات هادفة وذات معني، يمكن دراستها من خلال الفهم الصحيح لهذه الآيات. وفي هذه الدراسة، من خلال البحث في سياق الآيات المتعلقة بقصة آدم في سورة البقرة، والأعراف، وطه، نوقشت البراهين الشفوية المترابطة والمنفصلة لهذه الآيات من منظور مقارن. وتجدر الإشارة إلي أنه هناك كثير من الدراسات حول قصص القرآن. وكذلك قد تم بحث النقاط التفسيرية للآيات بالتركيز علي دور السياق، في بعض الدراسات التي اعتنت بالتشابه اللفظي، بما في ذلك كتاب "ملاك التأويل" لأحمد بن إبراهيم الغرناطي، وكتاب "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" لفاضل السامرائي و "البحث الدلالي في توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم" لأحمد إبراهيم صاعد. أما في هذا البحث، فإضافة إلي شرح الآراء والآيات التي نزلت حول آدم النبي (عليه السلام)، وقصة خلقه وتكوينه، قد تم تصنيف براهين السياق لسورة البقرة، والأعراف، وطه، بالتركيز علي الدور الرئيس للنبي آدم.

١- مفهوم السياق

١-١ السياق لغوياً: إن كلمة سياق، مشتقة لغوياً من "س و ق" وأصلها "سواق" فتأثرت بكسر السين وقُلبت الـ"واو" "ياء". يري غالبية علماء اللغة أنها بمعني القيادة،

والتحريك، وتوجيه شيء ما أو حيوان ما. فقد أطلقوا هذه الكلمة علي مهر النساء عند الزواج أيضا. لأن العرب قديما كانوا يعتمدون الإبل والبقر كمهر للنساء عند الزواج. ثم يأخذونها إلي بيت والد الفتاة المقبلة علي الزواج. (ابن منظور، ١٤١٤: ١٠ / ١٦٦ - ١٦٧) واعتبر بعضهم هذه الكلمة بمعنى التسلسل، والأسلوب، والطريقة، وأيضا اعتبروها كناية عن الشدة. وقد تحولت هذه الكلمة من إطار الأشياء والحيوانات في مسار التطور التطبيقي حتي أن وجدت طريقها إلي الكلام والنص. وبناء علي ذلك، فإن سياق الكلمة بمعنى "السرد"؛ أي الاقتباس والتعبير عن الكلمة أو النص بانتظام. وفي القواميس المعاصرة، تعتبر كلمات مثل النسيج، والبنية، والهيكل، والتسلسل، والسلسلة، والنص معادلة لكلمة سياق - كما جاء في المعاجم الفارسية. (آذرنوش، ١٣٨٨: ٣١٠)

١ - ٢ السياق اصطلاحاً: يكون للجملة - في بعض الأحيان - معني خاص خارج النص، لكن عندما تأخذ محلاً في نص معين وتجاوز جملات أخرى تدل علي معني مختلف؛ فعلي سبيل المثال، عبارة "إذهب إلي البحر" عندما تكون مرافقة لعبارة "واستمع حديثه باهتمام" يكون لها معني آخر، وإذا كانت الجملة الأولى بمفردها، فسيكون لها معني مختلف. لذلك، عندما تكون الجملة الأولى مصحوبة بالجملة الثانية، فإن كلمة "بحر" ستشير إلي معني مجازي نظراً لكونها مصحوبة بمعني متصل بالحديث؛ والمعني "إذهب إلي العالم"؛ ولكن عندما تستخدم بدون هذه القرينة؛ لا يكون معناها الواضح سوي "البحر". لذلك، كما أشار بعض الباحثين، يمكن القول: «إن مجموعة من الكلمات والعبارات المتعلقة بما يخص المناقشة تساعد قارئ النص علي فهم المعني بشكل أفضل، وتبني سياق الكلام وتوجه مكونات الكلام للمفاهيم المقصودة من كلام المتحدث، والتي يتم تفسيرها أحياناً علي أنها أسلوب الكلام، والطريقة التي يتم بها بناء الجملة.» (الخوري الشرتوني، ١٣٩٢: ١ / ٥٨٨، تابان، ١٣٨٧: ٥) وعلي كل حال، فقد يختلف المفكرون الإسلاميون حول التعريف الدقيق للسياق. ومع ذلك، يمكن تقسيم تعريفات السياق إلي فئتين:

أولاً: يري بعضهم بأن السياق هو مجرد تشبيه شفوي، يشار إليه أحياناً باسم السياق اللغوي. ففي الواقع، يرون السياق كنوع من سمات النطق أو عبارة أو كلام يتم

تكوينه نتيجة لارتباطه بكلمات وعبارات أخرى؛ ولذلك يدل علي معني آخر أحياناً، بالإضافة إلي المعني الخاص بكل كلمة وجملة. (رضايي كرمانى، ١٣٧٦: ٩ - ١٠؛ بابايي، ١٣٨١: ١٢٠) وبناء علي هذا، يري بعض آخر أن "سياق الآيات" هو ارتباط وملاءمة الآيات بعضها مع بعض؛ وبهذه الطريقة، فإن الانتباه إلي الآيات التي قبل الآية المعنية وبعدها، وكذلك الانتباه إلي الإيقاع العام للكلام من قبل المفسر، يعني الدقة في سياق الآيات. (مهدي راد، ١٣٨٢: ٤٦؛ ايزدي، ١٣٧٦: ٢١٨) ونتيجة لذلك، فيعتبر هؤلاء، السياق ذلك التشبيه الشفوي أو مثالا عليه أو علامة جوهرية له، والذي يتكون من مقدمة الكلام وجوهره. (بستاني، ١٣٧٥: ٧٦) ولذلك، قيل في بعض الأحيان بأن توالي المعاني وترتيبها في سلسلة من كلمات القرآن، من أجل تبين المعني دون انفصال وانقطاع، يشكل سياق القرآن. (عبد الفتاح، ١٤٠٣: ١٥) ويعتقد بعضهم بأن السياق هو الغرض العام الذي يكون المتحدث خطابه بناء عليه. فوفقاً لهذا الرأي، يتم تكوين مفهوم عام في المخيلة بداية، وبناءً عليه، يتم تكوين المفاهيم والمعاني ثم تظهر في شكل كلمات شفوية أو مكتوبة. (كنعاني، ١٣٨٤: ٢٨ - ٢٩) وبغض النظر عن الاختلافات في التعريفات المذكورة أعلاه، يؤكد الجميع بأن السياق يمكن البحث فيه من حيث معني الكلمة والعبارة، وبمجرد وضع الكلمات مترافقة بالجملات يمكن لنا تشكيل السياق.

ثانياً: والفئة الأخرى تعتقد أن السياق يتضمن معانٍ مقالية وحالية. فوفقاً لهذا الرأي سيكون سياق العبارات متخذاً من الكلمات والعبارات التي هي جوهر الدراسة - سواء أ كانت هذه الأسباب من فئة الألفاظ، كالكلمات الأخرى المرفقة بالعبارة المقصودة والتي تشكل حديثاً بنسيج ملائم، أم كانت قرينة حالية؛ مثل الأوضاع، والأحوال، والظروف، والأماكن التي ينطق بها الكلام والذي يكون مؤثراً في الموضوع ومحتويات الكلمة والعبارة المعنية. (الصدر، ١٩٨٧: ١ / ١٣٠) وبالتالي فإن سياق الكلام هو مجموعة من الشروط التي تحوي الكلام وحده. (فوزي، ٢٠١١: ١١١) والإلمام أو الانتباه إلي كلمات وعبارات القرآن لا يمكن أن يفسر غرض المتكلم. وإنما

علي المخاطب أن يركز علي شروط التعبير والأمور المرتبطة بها إضافة إلي براهين الكلمات. وبعبارة أخرى، يتضمن السياق جميع الأدلة اللفظية وغير اللفظية وأيضا الأدلة الجوهرية والعقلية التي تساهم في فهم معني الآيات. ما يمكن استنتاجه من التعريف أعلاه هو أن السياق له أدلة متصلة وأدلة منفصلة؛ ترتبط الأدلة المتصلة بالكلام، منذ البدء ولها دور في معني الكلمات والعبارات المرادة من حديث المتحدث وتعين نية المتحدث. وفي المقابل هناك أدلة منفصلة عن الكلام أو غير متناسقة وبعد أن تنقل الكلمات والعبارات المعني للمستمع أو لقارئ الخطاب وتقدم مفهوما، تؤدي هذه الأدلة دورا في إظهار كون المتكلم جادا في قوله. وتنقسم كل من هذه الأدلة الي فئتين؛ لفظية وغير لفظية. (رجبي، ١٣٩١: ٨٤ - ٨٥) لذلك فإن الكلمات والعبارات التي تأتي قبل الآيات وبعدها هي من بين الأدلة اللفظية المتصلة وآيات السور الأخرى هي من بين الأدلة اللفظية المنفصلة.

٢- أثر السياق ودوره في الآيات التي تشير إلي قصة آدم (عليه السلام)

ذكرت قصة آدم في القرآن في السور السبع التالية: البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه، وص. تحتوي هذه القصة علي عبارات مختلفة؛ ذكر بعضها في كل سورة. ولكن هناك قضايا أخرى؛ كأمر الله للملائكة في السجود لآدم، وتمرد الشيطان علي هذا الأمر، وهي عناصر مشتركة في جميع هذه السور السبع. بحيث أنه في كلتا سورتي البقرة، وطه، نجد النبي آدم هو المحور الرئيس لقصة الخلق. وتحدث القصة عن شخصيته وما حدث له أيضا. وهكذا في هذين السورتين تم البحث حول خلق آدم وسكنه في الجنة وإغرائه من قبل الشيطان وتناوله للشجرة المحرمة وهبوطه من الجنة، بينما نجد في سورة الحجر، والإسراء، وص أن الشيطان هو الشخصية الرئيسة والمركزية للقصة فيها. فقد تمت مناقشة خطيئة إبليس وعدائه مع آدم إلي جانب محادثة الله معه. لكن سورة الأعراف تشمل كلا الجزأين من هذه القصة. ففي هذه السورة تروي القصة بطريقة أكثر اكتمالا. وكذلك في سورة الكهف، فإن هناك إشارة موجزة - وفي آية واحدة فقط - إلي أمر الملائكة بالسجود وعصيان إبليس. وبما أن ملخص قصة خلق آدم ذكر

باختصار في السور المختلفة، ومع الأخذ في الاعتبار بأن في سورة البقرة، والأعراف، وطه مشتركات في رواية القصة، سيتم نقاش القصة في هذه السور الثلاث - دون غيرها.

٢ - ١ نظرة عامة لقصة آدم عليه السلام في سورة البقرة

إن قصة الخلق في الآيات ٣٠ حتي ٣٩ من سورة البقرة عبارة عن تكريم لآدم عليه السلام والتعبير عن فضائله. وترتيب الكلمات والعبارات وكذلك سرد القصة في هذه السورة مبني علي سياق مختلف تماما عن السياقات المماثلة في السور الأخرى. ففي هذه السورة خاطب الله جميع الناس قبل أن يروي قصة الخلق وبخطاب طبع بالامتنان وازدهار الفضل علي الناس: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا فَأَخْبِكُمْ﴾ (البقرة، ٢٨) ثم في الآية التالية عبر عن كرامة الإنسان ومكانته وذكر أن كل شيء علي الأرض قد خلق من أجل الناس: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة، ٢٩). وبعد ذلك أشار إلي قصة خلق آدم. ومطلع القصة يتحدث عن الخلق في هذه السورة مع ذكره أن الله أخبر الملائكة بوضع خليفة له علي الأرض وأيضا مخالفة الملائكة لهذا الأمر مع شرح الأدلة التي أتت بها. ثم أشار إلي تعليم الأسماء لآدم وعرضها علي الملائكة واعترافهم بعدم اطلاعهم ثم إعلامهم بالأسماء من قبل آدم. وهذه العبارات هي خصائص هذه السورة. وفي ما يلي أدناه هناك اشارة وجيزة إلي أمر الملائكة بالسجود وطاعتهم وعصيان إبليس. وتستمر القصة كسلسلة متواصلة من إقامة آدم وزوجه في الجنة وأنهما يتمتعا بكل النعم مع ضرورة تجنبهما شجرة خاصة، وإغراء الشيطان والخداع والندم والنزول والاهتمام بالله وقبول التوبة.

٢ - ٢ نظرة عامة لسياق قصة آدم في سورة الأعراف

تروي قصة خلق آدم في الآيات ١١ إلي ٢٥ من سورة الأعراف بطريقة يمكن القول أنها متناسقة مع البراهين السياقية في نص قصة خلق آدم وفي سياق التكريم هناك مؤاخذة وتوبيخ. إن اختيار وترتيب كلمات وعبارات هذه السورة - علي الرغم من تشابه بعض تعابيرها مع سورة البقرة - جاء بسياق مختلف عن تلك السورة، وفي هذه الآيات نجد الله سبحانه بداية في موقف المان علي البشر فيشير إلي سيطرتهم علي الأرض وتمتعهم بجميع النعم: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا﴾. ثم

يؤاخذ الخلق لقلة شكرهم: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف، ١٠). ثم يشرح الخلقة وصياغة البشر وقصة سجود الملائكة وعصيان الشيطان ومحادثته مع الله وطرده من ساحته، وبالتالي يشير إلي قصة آدم عليه السلام ودخوله في موقع القرب من الله ثم إلي المهمة الأولى أي منع الاقتراب من الشجرة. وفي القسم الأخير من هذا التقرير القرآني تمت الإشارة إلي وسوسة آدم وزوجه من قبل الشيطان، وذكر عواقب عصيانهما للأمر الإلهي وعريهم بعد عصيانهما للحق. وثم التعبير عن الندم ونزولهم إلي الأرض إلي جانب إبليس.

٣- نظرة عامة لسياق قصة آدم في سورة طه

أما قصة خلق آدم في سورة طه فجاءت ضمن الآيات ١١٥ إلي ١٢٣ بعبارات قصيرة وتعابير خاصة، فبدا وكأن القصة تدور في سياق يعبر عن الوضع الإنساني في العالم من خلال العظة والنصيحة بالنظر إلي طبيعته المادية والأرضية. والبشر الذي خلقه الله بأحسن تقويم ووهبه بنعم لا تحصى وأسكنه الجنة وحذره من عداء الشيطان والخروج من الجنة. (الطباطبائي، ١٣٩٠: ١٤ / ٢١٨) في هذه الآيات يتم التأكيد علي عهد آدم مع الله وضعفه في هذا العهد: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا لَآدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه، ١١٥). ثم ذكر أمر الملائكة بالسجود أمامه وعصيان الشيطان ثم حذر الله آدم من عداء الشيطان ونهيه بشأن بركات الجنة المختلفة. وفي نهاية الخطاب أيضا قد ذكر إغراء الشيطان له، وتناوله الفاكهة المحرمة وظهور سوائه وتنتهي القصة بقبول التوبة وهبوطهم إلي الأرض. ووفقا لما قيل في هذه السورة عن مقارنة قصة خلق آدم بالاشتراك في أقسام من هذه القصة يبدو أن طريقة التعبير تختلف ويختلف السياق في كل سورة عن السور الأخرى. ومن المؤكد أن هذا الاختلاف يتمتع بنقاط تفسيرية وبلاغية خاصة تساهم في الفهم الأعظم للقصة. وفي ما بعد سنشير إلي النقاط التفسيرية لهذه الآيات مع الاستناد بالسياق في هذه السور من القرآن الكريم.

٤- تحليل القرائن الدالة علي سياق التكرير في سورة البقرة

قبل أن تروي قصة آدم في سورة البقرة، ذكرت الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ كُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴾ (البقرة، ٢٩) فقد

ذكر الله في هذه الآية بأنه خلق كل شيء علي الأرض من أجل البشر وأشار إلي مكانة الإنسان البارزة. وهذه هي النقطة الواضحة في الآيات التالية وفي انعكاسات الأدلة الأخرى يمكن فحص هذه الأدلة في جزءين.

٤ - ١ الأدلة اللفظية المتصلة

٤ - ١ - ١ التلميح إلي خلافة آدم علي الأرض: عبّر الله تعالى عن آدم في سورة البقرة بلفظ "الخليفة": ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ (البقرة، ٣٠) بينما في السور الأخرى استخدمت كلمة "بشر": ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَاطِلِ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر، ٢٨)؛ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (ص، ٧١)

ففي الواقع، تشير هذه الآية إلي الجانب الروحي لآدم، ولكن في السور الأخرى تشير إلي جانبه المادي والبشري، وهي نقطة تتناسب مع سياق الآيات في كل سورة. وبعبارة أخرى، بما أن خلافة آدم تشير إلي مكانته العالية، يشير هذا التعبير إلي مكانته الرفيعة. وهذه النقطة المذكورة نجدتها في هذه السورة دون غيرها. ولأن هذه الآيات تتمتع بسياق التكريم، فإن هذه السورة هي أفضل مكان للتعبير عنها.

٤ - ١ - ٢ تفضيل آدم علي الملائكة: يشير الله - سبحانه - إلي تعليم الأسماء لآدم في هذه السورة فقط. والأسماء التي لم تكن الملائكة علي علم بها: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة، ٣١)

وهذا تأكيد آخر علي تكريم الإنسان في هذه الآيات؛ لأنه لا يوجد شيء أكثر شرفاً من العلم والعالم. ولذلك في هذه المجموعة من الآيات كرم الله آدم بالإشارة إلي معرفته. وفيما يختص بالملائكة فقد أمره: «أُنَبِّئْهُمْ»، ﴿قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ (البقرة، ٣٣) ولذلك فإن معرفة حقيقة الأشياء وهبت لآدم بينما اكتفي بتقرير بشأن الملائكة فحسب. كما كانت معرفة آدم بهذه الأسماء مباشرة وبغير وساطة؛ أي أنه تلقى هذه المعرفة مباشرة من الله. ولكن الملائكة، تلقت وعيها بواسطة آدم وأن النبي آدم كان معلماً للملائكة. (جوادي آملي، ١٣٩٢: ٣ / ٢٤٧؛ نفس المصدر، ١٣٨٦، ٦ / ١٥٥)

٤-١-٣ بيان خطيئة الشيطان: جاء في الآية ٣٤ من سورة البقرة عصيان إبليس مع تعابير «أبي» و«استكبر»: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ لكي تظهر بشاعة خطيئة الشيطان للإنسان، الذي كرمه الله وعلمه. بينما في سور أخرى من هذا التقرير يتم ذكره إما بكلمة «أبي» ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ (الحجر، ٣١؛ طه، ١١٦) أو بتعبير «استكبر»: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص، ٧٤)، وهناك حالة واحدة لا يري فيها شيئاً من هذين التفسيرين: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف، ١١) لذلك يوجد في هذه السورة مزيج من تعبيري «أبي» و«استكبر» فقط، واللذان يتفقان مع موقف تكريم آدم.

٤-١-٤ استناد القول إلي الله تعالى ذكره: في هذه السورة أمر الله آدم وزوجه أن يعيشا في الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَتَّكِدُمْ أَتَيْنَاكُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة، ٣٤) بينما في سورة الأعراف صدر نفس التصريح دون الاستناد المشهود: ﴿وَيَتَّكِدُمْ أَتَيْنَاكُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (الأعراف، ١٩) وبتعبير آخر، ذكر الله في سورة البقرة نداء آدم مسبقا باستناده، وهذا يتماشى مع تكريم آدم في الآية ٢٩.

٤ - ١ - ٥ عطف الفعل "كلا" بواسطة حرف "الواو": وفي سورة البقرة يتحدث الله عن انتفاع آدم وزوجته من بركات الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ (البقرة، ٣٥) ففي هذه الآية يعطف الفعل "كلا" باستخدام الحرف "واو" إلي فعل «اسْكُنْ» في حين أن هذا الفعل في سورة الأعراف معطوف بالحرف "فاء": ﴿وَيَعَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (الأعراف، ١٩). والعطف بحرف "واو" مناسب لسياق التكريم؛ لأن حرف "واو" يستخدم في الجمع المطلق بين المعطوف والمعطوف عليه، لكن حرف "الفاء" يشير إلي التوالي والتعاقب. ونتيجة لذلك فمعني "الواو" أوسع من "الفاء" (السامري، ١٤٢٠: ٢٩٠؛ الفخر الرازي، ١٤٢٠: ١٤ / ٤٥؛ ابن جماعة، ١٤١٠: ١٨ - ١٩) لذلك فإن العطف بـ"الواو" في سورة البقرة يدل علي مدي اختيار المخاطب، وهو ما يناسب سياق التكريم. وكمثال، عندما يتم

إخبار شخص ما: «ادخل وكل» يمكن لهذا الشخص الدخول في ذلك المكان واستخدام أي شيء يريده دون أي حد زمني ولكن إذا قيل له: «ادخل فكل» فإنه يجب عليه تناول الطعام بعد الدخول مباشرة، وإذا تمّ عكس ذلك، يمكن منعه عن تناول الطعام. (السامرائي، ١٤٢٠: ٢٩٠؛ الصامل، ١٤٢٢: ١٤٩).

٤ - ١ - ٦ معني كلمة "رغدا": لقد ذكر في سورة البقرة إعلان للسكن والأكل مع كلمة "رغدا" وهذا للتمييز. بينما في سورة الأعراف ذكرت هذه الأفعال دون قيود. وقد أشار العلماء اللغويون إلي معان مختلفة لكلمة "رغدا". فقد اعتبر الراغب أنها تعني حياة مريحة ومليئة بالنعم (الراغب الأصفهاني، ١٣٧٤: ١٩٨) ويرى أبو حيان، مستشهداً بما كتبه الزجاج، أنها فائض لا يمنع عنه الإنسان وينقل عن مقاتل إنها تعني الوسيع، لكن مجاهد يعتبرها شيئاً لا يخضع للتدقيق. ولا يمكن أن يكون. وفي النهاية يشرحها كمكان واسع ليس فيه آلام ومتاعب. (أبو حيان، ١٤٢٠: ١ / ١٥٥ - ١٥٨) أما المعاني الأخرى للكلمة، فهي: واسعا رافها (الزنجشري، ١٤٠٧: ١ / ٢٧٣)، وواسعا زلالا (آل سعدي، ١٤٠٨: ١ / ١٠؛ السيوطي، ١٤١٤: ١ / ٢٣٣)، ودون بخل وتحقير (ابن عاشور، د. ت: ١ / ٣٢)، كل ما تريد، أينما تريد، ومتي ما تريد. (الخفاجي، ١٤١٧: ٢ / ١٣٦)

وبحسب هذه المعاني، وأن الله في هذه الآية يذكر آيات مختلفة من نعمه لآدم ومنحه الفضيلة، يمكن القول إن استعمال كلمة "رغدا" يزيد من هذه الفضيلة. ففي الواقع إنها نعمة تضاف إلي النعم السابقة (الصامل، ١٤٢٢: ١٥١). ولذلك اعتقد بعضهم، بما أن كلمة "قلنا" مذكورة في بداية الآية وكلمة موثقة لله سبحانه وتعالى فإن كلمة "رغدا" تستخدم للإشارة إليها من أجل زيادة تطورها وتكريمها الصحيح (كرماني، ١٤١٨: ١٢٠). ويكتب الغرناطي بالنظر لهذه الكلمة: «إن البعضية مرادة بالنظر إلي ما انطوت عليه اللجنة وإباحة التوسعة في أكلها مقصودة وليس ثم ما يحرزها فقال تعالى: "رغداً" ليحصل المعني التوسعة وتجردت "من" لإحراز معناها ولم يكن هنا بد إذ ليس في السياق ما يحرز ذلك المعني من التوسعة.» (الغرناطي، ١٩٧١: ١ / ٢٨ - ٢٩) ويضيف لمعني التطور بتأكيد علي القرب بين المعني لـ«من» و«رغدا»: «ليس موقع "حيث شئتما" موقع "من حيث شئتما" لأن "من حيث شئتما" يحرز ويعطي إباحة الأكل من ثم كل موضع فيها. أما حيث إذا لم يكن معها "من" فإنها تعطي بأظهر الاحتمالين إباحة الأكل

في كل موضع لا من ثمر كل موضع. فقد يقال للشخص كل هذا العنقود حيث شئت من هذا البستان وإنما أبيع له أكل عنقود معين مخصوص حيث شاء من أماكن ذلك البستان ولم يتعرض بهذه العبارة لإباحة أكل ما في كل موضع منه إلا باحتمال ضعيف. أما إذا قيل له كل من حيث شئت من مواضع هذا البستان فقد أبيع له الأكل من كل ما في مواضعه، وحصلت التوسعة في المأكول ولم يحصل ذلك عند سقوط "من". (نفس المصدر: ٢٩ / ١)

٤ - ١ - ٧ في بيان إغراء الشيطان باستعمال فعل "زل": جاء في سورة البقرة فيما يخص خداع الشيطان تعبير: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (البقرة، ٣٦) بينما عبر عنه في سورة الأعراف بعبارة: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف، ٢٠)؛ و﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (الأعراف، ٢٢) وهناك آراء مختلفة للمفسرين حول جذور كلمة «دلّ» تتراوح ما بين "د ل و" و"د ل ل". يعتقد الطبري أن هذه الكلمة لها جذر واحد وهو "د ل و" والذي يشير في هذه الآية إلى المعنى المجازي: «فَخَدَّعَهُمَا بِغُرُورٍ» (الطبري، ١٤١٢: ٨ / ١٠٥) وبعضهم - ونظرا لهذه المادة - يرون «تدلية» بمعنى وضع الدلو في البئر بهدوء وببطء (ابن أثير، ١٣٨٣: ٢ / ١٣١). ووفقا لهذا الرأي فعبارة «فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ» تعني أن الشيطان وسوس في صدورهما بشكل مستمر وأتى بأدلة وقسم لهما إلى أن خلعهما من مكانتهما ووضعهما في قاع البئر رويدا رويدا (جواد آملی، ١٣٩٢: ٢٨ / ٢٩٠). وفسرها البعض بناء على جذر "د ل ل" وظنّ بما أنه "تدليل" بمعنى السحب إلى الأسفل إذن حرف "الباء" جاء بمعنى الاستعانة (خطيب، د. ت: ٤ / ٣٨٢) وأما مفردة «دَلَّاهُمَا» فقد وُظِّفَتْ بمعنى أنه أنزلهما من مكانتهما بجبل الكبرياء (صادقي تهراني، ١٣٦٥: ١١ / ٦٤) وقد طبق بعضهم كلا المعنيين على الآية وفسرها على أنها تعني كلاهما بالقول أنه إذا كان جذرها "د ل و"، فهذا يعني "أخرجهما" أي أنه أخرجهما من الجنة. تماماً كما يعني "أدلي دلوه" وضع الدلو داخل البئر و"أدليتها" تعني سحب الدلو من البئر. وأيضا إذا كان أصل الكلمة "د ل ل"، فهذا يعني "دللها" بمعنى أنه شجعهما على الخطيئة وأخرجهما من الجنة (القرطبي، ١٣٦٤: ٧ / ١١٦). وفيما يتعلق بكلمة "زل" اعتبر بعض العلماء أنها تعني السهم الفولاذي (الفراهيدي، ١٤٠٩: ٧ / ٢٤٨؛ الأزهری، ١٤٢١: ١٣ / ١١٤، ابن عباد، د. ت: ٩ /

١١). لكن الراغب يرى أن ذلك يعني السير دون قصد وغاية، وبمعني الذنب غير المقصود، ويشبه زلة القدم وانزلاقها (الراغب الأصفهاني، ١٣٧٤: ١ / ٣٨١). ويرى ابن فارس أنها تعني الخطأ لأن المخطئ يزل عن طريق الصواب (ابن فارس، د. ت: ٣ / ٤). كما يميز ابن عطية حقيقة "زلل" بمعنى "القدّم" واستخدامها بمعنى "الرأي" (ابن عطية الأندلسي، ١٤٢٢: ١ / ٢٤٥).

والنتيجة أنه في كلتا الآيتين تتوافق كل مفردة من هذه الكلمات تماماً مع سياق آيات كل سورة؛ لأن التعبير عن الخطيئة بكلمة "زل" بطريقة أقل دقة يشير إلي خطيئة آدم (ع) وزوجته، وبما أن كلمة "دل" تعني الهبوط من مقام عالٍ، فإنها تتناسب مع سياق سورة الأعراف.

٤- ١- ٨ توبة آدم (عليه السلام): طرحت توبة آدم وقبولها من قبل الله في سورة البقرة: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَنَابَغَا عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة، ٣٧) وهذا السرد ملائم لسياق التكريم في هذه الآيات. بينما في سورة الأعراف بعد التعبير عن ندم آدم وزوجته، ذكر هبوطهما دون الإشارة إلي قبول توبتهما.

٤- ١- ٩- تبين فعل "تبع": إن الله في سورة البقرة، بعد الإعراب عن قبول توبة آدم، يأمر آدم ومن معه بالهبوط: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، ٣٨) وأما في سورة طه فقد يُعبر عن المعني نفسه بكلمات أخرى: ﴿فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه، ١٢٣) كما نري في سورة البقرة جاء فعل "تبع" بصيغة الثلاثي المجرد، وجاء في سورة طه، بصيغة المزيد. اعتبر بعضهم أن الفعلين «تَبَعَ وَاتَّبَعَ» لهما نفس المعني وفي هذه الحالة يكون معني كلتا العبارتين واحداً. وحجة هؤلاء هي أن في سورة طه، يكون التعبير عن الفعل بصيغة الثلاثي أكثر انسجاماً مع كلام الله في الآيات السابقة: ﴿يَوْمَ إِذْ يَقُولُ لَا ادْعُ لِدَاعِي لَأَعْلَجَ لَكُمْ﴾ (الراغب الأصفهاني، ١٣٧٤: ٧٢؛ الكرمانلي، ١٤١٨: ١٢٠؛ الأنصاري، ١٩٨٣: ٢٦) لكن هذا القول - كما ذكر بعض العلماء الباحثين في المجالات القرآنية - يبدو ضعيفاً بسبب المسافة الطويلة بين الآيتين

(الصامل، ١٤٢٢: ١٦٥؛ الزيد، ١٤٢١: ٣٨). فبالإضافة إلى حقيقة أن «تَبَعَ» هو الأصل و«اتَّبَعَ» هو مزيد وفرع له، وطبقا لقاعدة «زيادة المباني تدل على زيادة المعاني»، فإن معني هذين الفعلين ليس معني واحدا. ولذا تعني «تَبَعَ» الطاعة بدون التزام وضيق، وأما «اتَّبَعَ» فمن باب الافتعال تعني التزام النفس بتحمل المتاعب لها (الغرناطي، ١٩٧١: ١ / ١٩٠ - ١٩١). ويعتبر هؤلاء الباحثون سبب الاختلاف بين الأفعال هو سياق ما قبل الآية ويرون بأن هذا الاختلاف يتوافق مع معني الأفعال المحددة والسياق المحدد لكل منهما؛ لأنه في سورة البقرة، اكتفي الله بهذه الجملة لتبيين كيد الشيطان: «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا» دون التطرق إلى كيفية ما فعلوه. وهذا البيان مناسب لفعل «تَبَعَ». لكن في سورة طه يشير الله إلى نوعية إغواء الشيطان حيث يقول: ﴿فَوَسَّوْا لِلَّهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَكَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلَامِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (طه، ١٢٠) فيمكننا من خلالها فهم قوة الشيطان وقوة خدعته. بهذا القول لا يمكن التمييز بين الصواب والخطأ إلا بالكثير من الجهد والسعي بما يتناسب مع فعل «اتَّبَعَ» (الغرناطي: ١٩٣ - ١٩٤؛ بقاوي، ١٤١٣: ١ / ٢٩٨)

لقد حاول بعض الباحثين توضيح سبب الاختلاف بين الفعلين «تَبَعَ واتَّبَعَ» بالتركيز على الأجزاء الأخيرة من الآيات. فقد جاء في نهاية الآية في سورة البقرة: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، ٣٨) لكن الآية في سورة طه تنتهي بهذه العبارة: ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشَقُّ﴾ (طه، ١٢٣) فبالنظر إلى أن عدم الخوف والحزن مرتبط بالآخرة لكن عدم الضلال فأمر دنيوي؛ لأن في الآخرة ستبصر جميع الأعين وسوف تري الحقيقة بوضوح لذلك ليس هناك ضلالة. وكذلك عدم الشقاوة يتعلّق بالآخرة لأنّ العالم لا يخلو من الشقاوة كما قال الله جلّ جلاله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه، ١١٧) لذلك فإنّ تعبير الآية في سورة طه يشير إلى الدنيا والآخرة معاً، وفي سورة البقرة إلى الآخرة. و«لذلك فإن ما ورد في طه يتضمن أمرين؛ مجاهدة الضلال في الدنيا والفوز في الآخرة، والحالة الأولى تطلب عملاً أكثر وأشقّ فجاء بالفعل الدالّ على المبالغة

مقارنات تطبيقية لقصة خلق آدم في سورة البقرة، والأعراف، وطه..... (417)

والتكلف للأمر الشاق وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف.» (السامرائي، ٢١٤٢٠، صص ٢٩٣-٢٩٤)

وعبر التركيز علي هذه الأدلة، يمكن القول إن كلا الفعلين يتناسبان مع سياق آيات كل سورة، وبما أن سياق سورة البقرة يشير إلي كرامة آدم، فالفعل الذي يدل علي عدم الالتزام والصعوبة فقد استخدم في هذا السياق.

٤. ٢ الأدلة اللفظية المنفصلة

٤- ٢- ١ عدم التحدث عن مصدر خلق آدم: جاء في سورة البقرة - بعد ذكر محادثة الله مع الملائكة عن خلافته - حديث عن تعليم الأسماء لآدم ولكن لم تذكر كيفية خلقه. بينما يبين الله أحيانا في السور الأخرى وبشكل مباشر، خلق الإنسان من التراب: ﴿وَلَوْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر، ٢٨)؛ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (ص، ٧١)، وأحيانا يبين الأمر عن لسان الشيطان: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف، ١٢) حيث يتناسب هذا الأمر مع سياق تكريم آدم في القصة المذكورة في سورة البقرة.

٤- ٢- ٢ إشارة عابرة إلي كيد الشيطان: ذكر في سورة البقرة بأن آدم خُدع من قبل الشيطان، وذلك بشكل وجيز: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة، ٣٦) دون الخوض في التفاصيل. بينما يذكر في سورتي الأعراف وطه بالتفصيل، خداع الشيطان وإغواءه لآدم وزوجه: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٢٠-٢١)؛ ﴿وَقَا سَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾ (الأعراف، ٢٠-٢١)؛ ﴿قَالَ يَتَدَامُّ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى﴾ (طه، ١٢٠) فعدم الإشارة إلي نوعية إغواء الشيطان يمكن أن يؤكد سياق تكريم الإنسان في الآيات التي جاءت الإشارة إلي خديعة آدم علي يد إبليس فيها بشكل موجز.

٤- ٢- ٣ إشارة موجزة إلي خطأ آدم وزوجته: في سورة البقرة، بعد تعبير الشيطان عن آدم دون ذكر خطيئتهم في جملة قصيرة، يخرجهم من الموقع الذي كانا فيه:

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة، ٣٦). ومعني كلمة "ما" في عبارة: «مِمَّا كَانَا فِيهِ» هي النعمة والكرامة التي كانا يتمتعان بها، وتشير إلي التعظيم والتفخيم. قيلت هذه العبارة لتبين كمال التكريم (جوادي آملي، ١٣٩٢: ٣ / ٣٦٩)؛ لأنه لا يذكر كيف ارتكبا الخطيئة. بينما جاء في سورة الأعراف لفظ "ذاق": ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ (الأعراف، ٢٢) وفي سورة طه بلفظ "أكل": ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ (طه، ١٢١) يذكر كيف ينزلان عن الصواب ويأكلان من الشجرة المحرمة.

٤ - ٢ - ٤ عدم الإشارة إلي نتيجة خطأ آدم: لم يذكر في سورة البقرة ما حدث لآدم وزوجته بعد إغواء الشيطان. بل نجد خروجه من الجنة فقط: ﴿الْحَكِيمُ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة، ٣٦) لكن في سورتي الأعراف وطه ، عندما يتعلق الأمر بإغواء الشيطان يذكر أن قبح آدم وزوجته يظهر بعد تناولهما من الشجرة المحرمة: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف، ٢٢)؛ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (طه، ١٢١).

٤ - ٢ - ٥ إخفاء عتاب الله لآدم وزوجته: كما في سورة البقرة، لم يذكر توبيخ الله لآدم وزوجته علي عصيان أمر الله. بينما ورد هذا التوبيخ في سورة الأعراف: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف، ٢٢). وفي سورة طه نجد العصيان مذكوراً: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه، ١٢١) فنظرا إلي أن العتاب أقل أهمية من عدمه فهذه شهادة أخري علي الاحترام والتكريم في آيات سورة البقرة (السامرائي، ١٤٢٠: ٢٩١).

٥- السياق المركب للتكريم والتوبيخ في سورة الأعراف

كما ذكرنا فإن قصة الخلق في سورة الأعراف ترتبط أيضا بتكريم الإنسان. لكن هذا التكريم يرافقه توبيخ وتحذير. والأدلة لهذا السياق هي أدلة شفوئية متصلة ومنفصلة. ولكن بما أن الأدلة اللفظية المنفصلة لهذه الآيات هي نفسها الأدلة المتواصلة في سورة البقرة، فلن نذكرها مرة أخري ونكتفي بالتعبير عن الأدلة المتصلة:

٥ - ١ الأدلة الشفوية المتصلة

٥ - ١ - ١ التعبير عن سلطة البشر وقدرته علي الأرض: يخاطب الله في سورة الأعراف، قبل شرح قصة خلق آدم يخاطب كل البشر قائلاً: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا ﴾ (الأعراف، ١٠) ففي هذه الآية ، يشير تقدم «لكم» وهو مفعول لـ«معيش» إلي أن جميع النعم قد خلقت للإنسان وخدمته (جوادي آملي، ١٣٩٢: ٢٨ / ١٥٨) وهكذا ينبّه المخاطب إلي الكرامة التي تمّ بيانها (المسيري، ١٤٣٠: ٣٧). ٥ - ١ - ٢ عدم تبيين خلق آدم من تراب: في سورة الأعراف، هناك حديث عن خلق آدم بعبارة تعبر عن خلقه بمنتهي الاختصار والاحترام: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ (الأعراف، ١١). ففي هذه الآيات يشير الله إلي جنس البشر بلغة الشيطان وبشكل غير مباشر: «قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» بينما في السور الأخرى بالإضافة إلي شرح خلق آدم فإنّ مادته الأصلية أي التربة ذكرت بتعابير مختلفة. كما جاء - علي سبيل المثال - في سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ (الحجر، ٢٦) أو كما في سورة ص: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ (ص، ٧١).

٥ - ١ - ٣ تقابل طرد الشيطان من القرب الإلهي وإقامة آدم في الجنة: وفي هذه المجموعة من الآيات فإن الجمع بين آيتين تشيران إلي طرد الشيطان من قرب الله وسكن آدم في الجنة، يمكن أن يعبر عن كرامة آدم عند الله و في نفس الوقت هناك توبيخ علي سلوك الشيطان: ﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨) وَيَكَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴿ (اعراف، ١٨ - ١٩) فإن الواو في الآية الثانية استثنائية لتبين بوضوح الفرق ما بين الذي أمر بالخروج «مذموما مدحورا» والذي أمر بالإقامة بعزة وكرامة (المطعني، ١٤١٣: ٣٥٦؛ الصامل، ١٤٢٢: ١٤٧).

٥ - ١ - ٤ التعبير عن التوبيخ الإلهي: يشير الله تعالى في سورة الأعراف، إلي التوبيخ الذي تلقاه آدم وزوجته بعد ارتكاب الخطيئة مما يدل علي سياق التوبيخ والتحذير

في هذه الآيات: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ

مُبينٌ﴾ (الأعراف، ٢٢) ولكن في سورة البقرة وطه لم يرد هذا التوبيخ.

٥ - ١ - ٥ التغيير في اسم الإشارة: في هذه الفئة من الآيات يُستخدم اسمان للإشارة إلى الشجرة المحرمة، وهما "هذه" و "تلك". وهذا الاختلاف في التعبير يعني وجود موقفين. ففي البداية يخاطب الله آدم وزوجته: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (الأعراف، ١٩) إذ في الواقع، يشير اسم "هذه" إلى قرب الشجرة ويشير إلى موقعهم القريب من الله ولكن بعد خطأهما ذكرت كلمة "تلكما"، والتي تشير إلى البعد والمسافة: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ (الأعراف، ٢٢) مما يدل على توبيخ كليهما وبعدهما عن مقام القرب الإلهي (الطباطبائي، ١٣٩٠: ٨ / ٣٥؛ جوادي آملي، ١٣٩٢: ٢٨ / ٢٩٢) كما تشير عبارة: «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا» إلى البعد؛ لأنه يستخدم النداء للبعد لذلك (جوادي آملي، ١٣٩٢: ٢٨ / ٢٩٢)؛ فإن هذه المسافة من موقع القرب تؤكد أيضا سياق اللوم والتوبيخ فيما يتعلق بهذه الآيات.

٥ - ١ - ٦ استعمال الضمائر بدلا من الأسماء: في هذه المجموعة من الآيات، دعا الله آدم أولاً بالاسم مباشرة: «وَيَا آدَمُ اسْكُنْ»، ولكن في آيات ما بعد الخطأ يقول الله: «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ» تشير حالة النداء مع الضمائر بدلا من الأسماء إلى توبيخهم وعقابهم (أبو حيان، ١٤٢٠: ٥ / ٢٨).

٦ - سياق الوصف والإنذار في سورة طه

لقد جاء - كما مر - بأن قصة خلق آدم في سورة طه هي في سياق مختلط يشمل التحذير والموعظة. وفيما يلي يتم فحص الأدلة التي تشير إلى هذا السياق. ففي هذه السورة بالنظر إلى أن الأدلة المتقطعة هي في الواقع نفس الأدلة المترابطة التي تم التعبير عنها في السورتين السابقتين، لذلك نكتفي بالتعبير عن الأدلة المترابطة - لا أكثر.

٦ - ١ الأدلة اللفظية المتصلة

٦ - ١ - ١ التصريح بعداوة الشيطان: في المقارنة بين السور التي تتعامل مع قصة خلق آدم، فقد صرح في سورة طه بعداوة إبليس فقط دون غيرها: ﴿فَقُلْنَا يَتَّخِذُكُمْ هَذَا عَدُوًّا لَّكُمْ

وَلَوْ جِئَكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ طه، (طه، ١١٧). في هذه الآية حذر الله آدم بالنصيحة والعظة من عداوة الشيطان لئلا يخرج من الجنة.

١- ٢ تنبه آدم إلى الطرد من الجنة: استخدم شكل الحظر في سورة طه بخلاف سورة البقرة والأعراف، لعدم الأكل من الشجرة المحرمة ببيان مصحوب بنصيحة وخطاب يحذرهم من ترك الجنة: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه، ١١٧).

١- ٣ التعبير عن بركات الجنة: في سورة طه - دون غيرها - وردت بركات آدم وزوجته في الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ (طه، ١١٩). فقد حذر الله الإنسان من ترك الجنة ويعلمه عن البركات المتوفرة له فيها دون أن يتحمل أي مشقة، ويذكره عن طريق الموعظة أنه إذا ترك الجنة فسوف يفقد هذه البركات. ومن أجل تضخيم هذه النعم، يذكر أوصاف فقدان البركات بدلا من البركات (الفخر الرازي، ١٤٢٠: ٢٢ / ١٠٧، الألوسي، ١٤١٥: ٨ / ٥٨٠). وعلي الرغم من وجود تناسب بين الـ"جوع" و الـ"ظمأ" وبين الـ"عري" و الـ"صحو" فهناك فجوة بينهما تشير إلى تعدد النعم الإلهية؛ لأنه إذا تم التعبير عن كل نعمة بالنعمة التي تناسبها، يخطأ المخاطب ويظن بأن كلا النعمتين متماثلتان (الألوسي، ١٤١٥: ٨ / ٥٨١).

١- ٤ التفسير المختلف لإغراء الشيطان: تُعبر سورة طه، عن إغراء الشيطان لآدم بآية : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ (طه، ١٢٠) في حين ورد هذا التصريح في سورة الأعراف مع: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف، ٢٠) وفي الواقع فعل «وسوس» صار تارة متعديا بواسطة حرف الجر (إلى) وتارة أخرى مع حرف جر آخر هو (اللام) (ابن عاشور، د. ت: ١٦ / ١٩٤). ويمكن الحصول على الاختلاف في تفسير هاتين الآيتين حسب سياق آيات كل سورة. ففي سورة الأعراف يقول الله تعالى: ﴿وَيَكَادُمْ أَتُكَّنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝﴾ (الأعراف، ١٩ -

(٢١) فنري سياق هذه الآيات لا يشير إلي تحذير واضح من الشيطان؛ لأنه في هذه الآيات يقدم الشيطان نفسه علي شكل مرشد وهذا يتناسب مع استخدام حرف "لام" الجر، ومع ذلك نجد في سورة طه بعد التحذير، أن آدم لم يستمع إلي كلمات إبليس ولم يطعه وذكر عداوته صراحة: ﴿ فَقُلْنَا يَتَّكِدُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا تَخْرُجْكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۚ (١٢٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١٢٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١٢٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّكِدُمْ هَلْ أَذُوكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَّا يَبْلَى (طه، ١١٧ - ١٢٠) ويذكر أن الشيطان قد اتخذ عدة طرق للعداء لهما ولإغرائهما وهذه النقطة، مناسبة لكلمة «إليه» (صاعد، ٢٠١٢: ٤٦٥ - ٤٦٦). في الواقع جعل الفعل متعديا بواسطة «إلي» في سورة طه، مطابق لسياق النصيحة والعظة.

٧- النتائج

من خلال مقارنة الآيات القرآنية في قصة خلق آدم والاهتمام بالأدلة اللفظية للآيات الموجودة في سياق كل سورة تبين بأن القصة ليست غير مكررة فحسب، وإنما في كل سورة تشير إلي نقاط محددة وحساسة. بمعنى آخر، فقد تروي القصة في كل سورة من وجهة نظر مختلفة، كما يتضح من الأدلة السياقية للآيات والتي ترد في سورة البقرة في سياق تكريم آدم، وبالتالي فإن هذه السورة هي المكان الأنسب للتعبير عن موقف المرء ومحاطة بعده الروحي. لكننا نجد نفس القصة في سورة الأعراف جاءت في سياق يتألف من تكريم وتوبيخ. إن اختيار الكلمات وترتيبها بعضها إلي جانب بعض جاء علي شكل بالرغم من تشابه بعض تعابيرها مع سورة البقرة إلا أن لها سياقاً مختلفاً عن تلك السورة. وأما سرد القصة في سورة طه؛ فإنه إلي جانب كونه بسياق مختلف عن سورة البقرة، والأعراف، وتم بتعابير خاصة، فقد كان بأسلوب الموعظة. فتزول إذن هذه الشبهة أن يكون هذا محض تكرار بلا قصد أو فائدة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- القرآن الكريم.

مقارنات تطبيقية لقصة خلق آدم في سورة البقرة، والأعراف، وطه..... (423)

- ألسي، السيد محمود، ١٤١٥ق، روح المعاني في التفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ١٤٠٨ق، تفسير الكريم الرحمن في التفسير الكلام المنان، بيروت، مكتبة النهضة العربية.
- ابن فارس، أحمد بن فارس، د. ت، معجم المقاييس اللغة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ابن أثير، مجد الدين، ١٣٨٣ق، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الراوي؛ و محمود محمد الطناحي، د. م، دار إحياء الكتب العربية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤ق، لسان العرب، بيروت، دار الفكر.
- الأنصاري، زكريا، ١٩٨٣م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، بيروت، دار القرآن الكريم.
- ابن عاشور، محمد بن طاهر، د. ت، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ.
- الأزهرى، محمد بن أحمد، ١٤١٢ق، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الأندلسي، ابن عطية، ١٤٢٢ق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن عباد، اسماعيل، د. ت، المحيط في اللغة، بيروت، عالم الكتب.
- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم، ١٤١٠ق، كشف المعاني في المشابه المثاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، د. م، دار الوفاء.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، ١٤٢٠ق، بحر المحيط، بيروت، دار الفكر.
- بحراني، هاشم بن سليمان، ١٤١٦ق، البرهان في تفسير القرآن، تهران، بنیاد بعثت.
- البقايي، برهان الدين، ١٤١٣ق، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
- خطيب، عبد الكريم، د. ت، التفسير القرآني للقرآن، بيروت، دار الفكر العربية.
- الخوري الشرتوني، سعيد، ١٣٩٢ق، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، تهران، اسوه.
- الحفاجي، أحمد بن محمد، ١٤١٧ق، حاشية الشهاب، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله، ١٤٢٢ق، درة التنزيل و غرة التأويل، بيروت، دار المعرفة.
- الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، ١٣٧٤هـ.ش، مفردات ألفاظ القرآن، تهران. مرتضوي.
- الزمخشري، محمود، ١٤٠٧ق، الكشف عن حقايق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتب العلمية.

- الزبياري، نوري صابر محمد، ٢٠١٢م، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؛ بلاغه، ايجاز، حذف، عمان، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع.
- الزبيدي، مرتضي، ١٤١٤ق، تاج العروس من جواهر القاموس، ط ٢. بيروت، دار الفكر.
- الزيد، إبراهيم بن عبد العزيز، ١٤٢١ق، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، رياض، دار الكنوز. اشبيليا.
- سيد قطب، بن إبراهيم الشاذلي، ١٤١٢ق، في ظلال القرآن، القاهرة، دار شروق.
- السيوطي، جلال الدين، ١٤١٤ق، قطف الأزهار في كشف الأسرار، قطر، إداره الشؤون الإسلامية.
- السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٠ق، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، الأردن، دار عمار.
- صاعد، أحمد إبراهيم، ٢٠١٢م، البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، بغداد، ديوان الوقف السني مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
- الصامل، محمد علي، ١٤٢٢ق، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، رياض، مكتبة الملك فهد الوطنية. اثناء للنشر.
- صادقي تهراني، محمد، ١٣٦٥هـ.ش، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، قم، انتشارات فرهنگ اسلامي.
- الصدر، محمد باقر، ١٩٨٧م، دروس في الأصول، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ١٤١٢ق، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة.
- الطباطبائي، السيد محمد حسين، ١٣٩٠ق، الميزان في تفسير القرآن، لبنان - بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الطريحي، فخر الدين، ١٣٧٥هـ.ش، مجمع البحرين، تهران، كتاب فروشي مرتضوي.
- عبد الفتاح، لاشين، ١٤٠٣ق، من أسرار التعبير القرآني، د. م، شركة مكنتات عكاظ.
- الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، ١٩٧١م، ملاك التأويل، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، ١٩١٢م، المصباح المنير، د. م، مطبعة الأميرية.
- فوزي، عيسي، ٢٠١١م، علم الدلالة، مصر، دار المعرفة.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، ١٤٢٠ق، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربية.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ١٤٠٩ق، ترتيب كتاب العين، قم، نشر هجرت.
- القرطبي، محمد بن أحمد، ١٣٦٤هـ.ش، الجامع لأحكام القرآن، تهران، انتشارات ناصر خسرو.

- الكرمانى، محمود بن حمزة، ١٤١٨ق، البرهان في مشابه القرآن، ط ٢، د. م، دار الوفاء.
- المسيرى، منير محمود، ١٤٣٠ق، دلالة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، القاهرة، المكتبة الوهية.
- المطعنى، عبد العظيم إبراهيم محمد، ١٤١٣ق، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، القاهرة، المكتبة الوهية.

المصادر الفارسية:

- آذرتاش آذرنوش، ١٣٨٨هـ.ش، فرهنگ معاصر عربي - فارسي «المعجم المعاصر عربي - فارسي»، ط ١٠. تهران، نقش جهان.
- ايزدي، كامران، ١٣٧٦هـ.ش، شروط و آداب تفسير و مفسر «آداب التفسير والمفسرين»، تهران، امير كبير.
- بابايي، علي أكبر وآخرون، ١٣٨١هـ.ش، بررسی مکاتب و روش های تفسیری «المدارس والمناهج التفسيرية»، قم، پژوهشکده حوزه و دانشگاه.
- بستاني، فؤاد أفرام، ١٣٧٥هـ.ش، فرهنگ ابجدی «المعجم الأبجدي»، ط ٢. تهران، چاپ اسلامي.
- تابان، جعفر، ١٣٨٧هـ.ش، «نقش سياق در تفسير قرآن» «دور السياق في القرآن»، فصلنامه دين و سياست. العدد ١٥، ص ٩٩-١١٨.
- جوادى آملی، عبد الله، ١٣٩٢هـ.ش، تسنيم، قم، نشر اسراء.
- _____، ١٣٨٦هـ.ش، تفسير موضوعي قرآن، سيره پیامبران در قرآن، «التفسير الموضوعي للقرآن؛ سيرة الرسل في القرآن» قم، نشر اسراء.
- رضايي اصفهاني، محمدعلي، ١٣٨٢هـ.ش، درس نامه روش ها و گرايش هاي تفسير «في المناهج والاتجاهات التفسيرية»، قم، مركز جهاني علوم اسلامي.
- رضايي كرماني، محمدعلي، ١٣٧٦هـ.ش، «جاي گاه سياق در تفسير الميزان» «مكانة السياق في تفسير الميزان»، فصلنامه پژوهش هاي قرآني، العدد ١٠.
- رجبى، محمود، ١٣٨٧هـ.ش، روش تفسير قرآن «منهج تفسير القرآن»، قم، پژوهش گاه حوزه و دانشگاه.
- فاكر ميدي، محمد، ١٣٨٧هـ.ش، سياق و تفسير قرآن «سياق القرآن وتفسيره»، قبسات، السنة ١٣، ص ١٣١-١٥٤.

مقارنات تطبيقية لقصة خلق آدم في سورة البقرة، والأعراف، وطه..... (426)

- كنعاني، سيد حسين، ١٣٨٤هـ.ش، «سير تحول کاربرد سياق در تفسير» «تطور استخدام السياق في التفسير»، فصلنامه مشکوه، شماره ٨٧، صص ٢٨-٤٣
- محمدرضايي، علي-رضا؛ وناصري، فاطمه، ١٣٩٥هـ.ش، سياق و اثر آن بر فهم و ترجمه قرآن كريم «السياق وأثره علي فهم القرآن الكريم وترجمته»، پژوهشنامه تفسير قرآن، العدد ٣، صص ١٢٧-١٤٧.
- مهدوي راد، محمدعلي، ١٣٨٢هـ.ش، آفاق تفسير «آفاق التفسير»، تهران، هستي نما.